

أضواء البيان

@ 95 @ وَإِنِّي كُلَّ مَا دَعَوْتُهُمْ لِيَتَغَفَّرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
اسْتَكْبَارًا { ، وقوله هنا : { فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا } ، أي :
أحكم بيني وبينهم حكمًا ، وهذا الحكم الذي سأل ربّه إيّاه هو إهلاك الكفار ، وإنجاءه
هو ومن آمن معه ، كما أوضحه تعالى في آيات أخر : كقوله تعالى : { فَدَعَا رَبُّهُ
أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ } ، وقوله تعالى : { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى
الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } ، إلى غير ذلك من الآيات . وقوله هنا عن نوح :
{ وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ، قد بيّن في آيات كثيرة أنه أجاب
دعائه هذا : كقوله هنا : { فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِ الْيَوْمِ }
، وقوله تعالى : { فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ } ، وقوله تعالى :
وَلَقَدْ زَادَانَا نُوحٌ فَلَنْدَعُمَ الْغَابِقِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ { ، والآيات بمثل ذلك كثيرة . .
وقوله هنا : { ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْيَاقِينَ } ، جاء موضحًا في آيات كثيرة :
كقوله تعالى : { فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } ، وقوله تعالى : { وَلَا
تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنِّي نَجَّيْتُهُم مِّنْ غُرُقُونَ } ، إلى غير ذلك من
الآيات . .
و { الْيَوْمِ الْيَوْمِ } المملوء ، ومنه قول عبيد بن الأبرص : و { الْيَوْمِ الْيَوْمِ } المملوء ،
ومنه قول عبيد بن الأبرص : % (شحنا أرضهم بالخيال حتى % تركناهم أذلّ من الصراط) % .
والفلك : يطلق على الواحد والجمع ، فإن أطلق على الواحد جاز تذكيره : كقوله هنا :
فِي الْفُلِ الْيَوْمِ الْيَوْمِ { ، وإن جمع أنث ، والمراد بالفلك هنا السفينة : كما صرح
تعالى بذلك في قوله : { فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ } . { كَذَّبَ
أَصْحَابُ الْآيَةِ الْمُرْسَلِينَ } . قال أكثر أهل العلم : إن أصحاب الأيكة هم مدين .
قال ابن كثير : وهو الصحيح ، وعليه فتكون هذه الآية بيّنتها الآيات الموضحة قصّة شعيب مع
مدين ، ومما استدللّ به أهل هذا القول ، أنّه قال هنا لأصحاب الأيكة : { أَوْفُوا
الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْ
الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْدُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ } ، وهذا الكلام ذكر اللّٰه عنه أنه قاله لمدين في مواضع متعدّدة : كقوله

في (هود) : { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ قَومُ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا